ذلك التوقيع

ما هذا؟! هل يرون شخصا مشهورا لأول مرة؟! تباً لهم لقد أرهقوني تقبيلا ومدحا، يدي باتت ترتعش لكثرة الحركات الطفيفة التي قام بها القلم على أوراقهم غير المعدودة، كل واحد فيهم يقول الجملة ذاتها " توقيعك أستاذ" هذه الجملة تتكرر بين آيب وقادم.

أف! ما هذا الإرهاق؟! لقد أصابني الضجر لدرجة أنني تمنيت لو لم أكن فنانا مشهورا. هؤلاء المعجبون لا يعرفون الرحمة، ثم من أنا ومن هم كي نجتمع سويا في مثل هذه المواقف، لكن يجب أن أتحمل قليلا وذلك لصورتي المتواضعة أمام الإعلام، وكيلا تبدأ أقلام الصحافة بالتمرد، هكذا قال لي مدير أعمالي البليد فهو لم يقل غير الصواب ولولا كلماته المنقذة في مثل هذه المواقف لاستغنيت عنه واستبدلته بمدير أعمال آخر ذي مكانة أرقى، فأنا لا يناسبني إلا الأرقى فحسب!

ويل لحالي، حافلة أخرى قادمة، وهاهم الركاب يتزاحمون علي كغثاء السيل، حاملين أوراقهم في أيديهم ويتدافعون نحوي كالنمل وكأنني قطعة حلوى.

" حسنا يا مدير أعمالي سأسمع كلامك هذه المرة وسأصبر "

وأخيرا فرغت من التوقيع على أوراقهم، لكن ما هذا؟! ما يزال شخص يجلس في الحافلة، يلبس نظارة المحتالين، ربما أنه سينزل بعد قليل حينما تختفي الأزمة من حولي، لكنه قد طال وقت اختفاء الأزمة ولم ينزل هذا الرجل بعد، ويل له! لم لا ينزل مثل بقية الركاب، هل هو أفضلهم أم أنه شخص مهم مثلي، لقد اقتحم الفضول نفسي، لا بد أنه يغار مني ولا يريد أن يطلب توقيعي، آه غروره يقتلني، إنه لا يعرني اهتماما، وتجاهله يثير صخبي، فلم أعتد على التجاهل بتاتا، والناس يتدافعون نحوي بكثرة، فلم لا يكون مثلهم، وما الذي لا يعجبه بي؟! بقيت ألعن نفسي في جحيم الأسئلة حتى أدى بي الحال للذهاب إليه لأعرف ما في نفسه اتجاهي، فهذا من الأعراض الجانبية للفضول، وعلي تحملها!

جلست بجانبه وما يزال التجاهل باديا عليه بوضوح، فحاولت أن افتح معه باب الحديث

- مرحبا

- أهلا

- كم الساعة؟

- آسف، لا يوجد معي ساعة.

تذمرت كثيرا لبرودة إجابته، وبقينا صامتين لبرهة ثم عطست لألفت انتباهه، فشمتني بهدوء، وأجبته بشده وعاد الصمت لمجراه. رأيته يكتب على دفتره الصغير بصورة عشوائية وبطريقة غير مرتبة وكأن مطبات الطرق قد استقرت بأوراقه، سألته باهتمام

- ماذا تكتب؟

- مقال

- هل أستطيع الإطلاع عليه، فأنا أحب قراءة المقالات.

- ولم لا؟ على الرحب والسعة.

- "ذلك التوقيع" عنوان جميل

(صمت)

- آه، ما هذا، هل تنتقد الأشخاص المشهورين اجتماعيا وتدعي أن بعضهم يتعاملون مع الناس بغرور، لقد فهمت الآن، أنت تقصدني أنا بمقالك أليس كذلك؟! ولهذا السبب لم تطلب توقيعي.

- عفوا سيدي لم تحدثني بهذه الطريقة؟ ثم من أنت؟

- آه، أنت تغيظني، أكاد اختنق افتح النافذة، هل تصر أن تقهرني حينما تتدعي عدم معرفتك لي، أنا أعرفكم جيدا أيها الأدباء، فأنتم فئة حاقدة على المجتمع، ألا يكفي أن خطك غير مرتب.

- افسح لي الطريق، أريد الإنصراف، لقد شتمتني دون أن أعرف ما ذنبي... لكن أسأل الله أن يسامحك.

قال جملته الأخيرة، وتركني أتأسف عما بدر مني، لدرجة أنني قررت أن أعيد حساباتي مع نفسي وأن أبني من أخلاقي بنيانا جديدا، لأكون انسانا آخر يحترم غيره ولا يتكبر على خلق الله مهما علا شأنه وارتفعت مكانته، لقد خرج الرجل صاحب النظارة من الحافلة وهو يستعين بعصاه، لقد كان ضريرا، ورأى ما بدر مني من تكبر وغرور ببصيرته ودون أحاسيسه في مقاله الذي انطبق علي تماما، فقررت أن أتغير للأفضل بعدما صنع مني هذا الأعمى انسانا جديدا.

النهاية